مصطفى غلفان وجهوده في تقديم اللسانيات للقاريء العربي –قراءة في بعض كتابته-

أحلام سعيدي
ahla30699@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2019-08-30 تاريخ القبول:2019-09-21 تاريخ النشر: 2019/12/30

ملخص

لقد أخذت الدراسات العربية الحديثة سبيلها المنهجي، في رحاب التحول الذاتي للنظرية اللسانية الحديثة التي كان لها الأثر الكبير في توجيه مسار البحث اللساني العربي الحديث فبعد أن مهدت اللسانيات الحديثة أولى خطواتها في دراسة اللسان دراسة وصفية موضوعية لذاته ومن أجل ذاته وذلك بعد قيام عدد من الدارسين والباحثين اللسانيين العرب بتعريف هذا العلم إلى القاريء العربي ولعل أبرزهم الباحث اللساني المغربي مصطفى غلفان والذي تتبع اللسانيات الغربية بأسسها وأهم توجهاتها وصولا إلى محاولة رصد انتقالها إلى الثقافة العربية وتبنيها من طرف الدارسين بالتطوير والتحوير لتناسب اللغة العربية، لذا تتطرق هذه الدراسة إلى محاولة الكشف عن جهود مصطفى غلفان وبيان مدى مساهمته في تقديم اللسانيات ومناهجها للقاريء العربي من خلال قراءة وصفية موجزة لبعض كتبه

الكلمات المفتاحية: اللسانيات، مصطفى غلفان، اللغة.

Abstract:

Modern Arab studies have taken their methodical approch in the field of self transformation of the modren linguistics theory ; wich had a great impact in guiding the course of modren arabic linguistic research ; after modern linguistics pave dits first steps in studying the tongue objectively descriptive study of itself and for itself after a number of scholars the most prominent of these morocan linguist Mustafa Galafan ; who follow the western linguistic basics and the the most important trends in ordrer to try to monitor the transition to arab culture and adopted by the scholars taiwir and modification to suit the arabic ; So this study adresses to try to delect Mustafa Galafan efforts and the extent of its contribution to the curricula for the arab reader by reading a descriptive summary of some of his books.

Key words : linguistics , Mustafa Galafan language..

1.مقدمة:

مصطفى غلفان باحث لساني وأستاذ في التعليم العالي من المغرب من مواليد 9مايو 1952 بالدار البيضاء حاصل على دكتوراه السلك الثالث في اللسانيات العامة من جامعة باريس سنة 1980 ومتحصل على دكتوراه ثانية من جامعة الحسن الثاني سنة 1991 في نفس التخصص، وهو يعد من بين أهم الباحثين اللسانيين الذين عرفوا القارئ العربي بأساسيات اللسانيات الغربية من خلال كتاباته اللسانية الشهيرة مترصدا بدايات نشأة اللسانيات ومفهومها وكذلك أهم مدارسها واتجاهاتها من سوسير إلى تشومسكي معتمدا منهج الوصف والتحليل لأبرز الأسس التي قامت عليها من خلال كتبه الثلاثة(في اللسانيات العامة، اللسانيات البنوية منهجيات واتجاهات، في اللسانيات التوليدية التحويلية من النموذج المعيار إلى البرنامج الأدنوي)، وهو لم يكتف بهذا بل إنه حاول بلورة وتصنيف مناهج لما سماه باللسانيات العربية الحديثة وذلك بداية من كتابه اللسانيات العربي حفريات النشأة والتكوين، ثم من خلال كتابه اللسانيات العربية دراسة في الأسس والمصادر وليست هذه الإنتاجات الوحيدة لهذا الباحث في مجال اللسانيات ليصدر كتابين آخرين هما اللسانيات العربية وإشكالية المنهج حيث تساءل فيه عن قضية تعدد المناهج في اللسانيات العربية وسعى إلى تصنيفها مع بقاء هذا الإشكال مطروح بالنسبة إليه، وخاصة وأن المنهج لا يتعدد بتعدد الباحثين اللغويين فحسب بل إننا قد نصادف لكل باحث يعتمد على منهجين أو أكثر في مسيرته العلمية البحثية، وكل هذه الأعمال والمؤلفات أصبحت بمثابة مرجع أساسي لكل باحث متخصص في اللسانيات أو غير متخصص يصبو التطلع ومعرفة أغوار هذا العلم الحديث، ونحاول الوقوف على هذه الجهود من خلال أعماله العلمية وكلها تهدف إلى توصيف اللسانيات العامة ومناهجها إلى القارىء العربي، وقد ارتأيت أن أوزع حديثي عن هذه الجهود على العناصر التالية:

-**المرحلة الأولى**: محاولة غلفان تحديد اللسانيات العامة وماهيتها (من خلال كتابه في اللسانيات العامة).

-**المرحلة الثانية**: تصنيفه لأبرز اتجاهات اللسانيات العامة (من خلال كتابيه اللسانيات البنوية منهجيات واتجاهات وكذلك كتابه في اللسانيات التوليدية).

-**المرحلة الثالثة**: تحديده للسانيات العربية الحديثة وأبرز مناهجها(من خلال كتابه اللسانيات العربية حفريات النشأة والتكوين، اللسانيات العربية أسئلة المنهج وكذلك اللسانيات العربية دراسة في الأسس وأهم المصادر وكذلك أسئلة المنهج في اللسانيات).

وهذه أهم المراحل التي تتبع فيها مصطفى غلفان اللسانيات العامة بداية من نشأتها وتحديد ماهيتها وأبرز اتجاهاتها إلى غاية انتقالها غلى الثقافة العربية وتصنيفها عبر اتجاهات يسعى كل منها إلى توصيف اللغة العربية من منظور اللسانيات الغربية الحديثة وسنحاول التطرق إلى هذه المراحل بطريقة أكثر تفصيل فيما يلي:

1-مراحل تقديم مصطفى غلفان للسانيات وتطوراتها إلى القاريء:

-1-1-المرحلة الأولى: محاولة غلفان تحديد اللسانيات العامة وماهيتها

في كتابه في اللسانيات العامة حاول مصطفى غلفان الوقوف على الأسس الفكرية والمنهجية التي قام عليها ما اصطلح عليه ب"في اللسانيات العامة" وعلى أهم الموضوعات المتصلة بها وإن ليس كلها، وقد اتجه في إعداد هذا الكتاب نحو الجمع بين العمق والتبسيط وبين المتابعة التاريخية والتقديم الوصفي العام للقضايا اللسانية العامة من جهة أخرى وللمفاهيم النظرية والإجرائية من جهة ثانية وقد راعى في ذلك كل التبسيط والتوضيح والتمثيل في طرحه، وقد تطرق في الباب الأول

للحديث عن اللغة وطبيعتها، فتحدث أولا عن طبيعتها النفسية والاجتماعية قبل أن يتطرق إلى طبيعتها السيميائية "فإذا كانت اللغة في أبسط تعريف لها أنها نظام من الأصوات يتواصل به أفراد المجتمع للتعبير عن حاجاتهم المادية والمعنوية ورغم تعدد التعريفات المصاغة للغة إلا أنها تبدو غير قادرة على الإحاطة بجوهر اللغة وبأبعادها الفردية والجماعية، إن أصل اللغة عند الفرد نابع من طبيعته الاجتماعية التي نلازمه ومن حاجته إلى التواصل مع الغير" (غلفان، 2010، صفحة 10)، إن اللغة عند الفرد تجسد الرغبة في تحقيق نوع من النما مع الذات والذوبان بين الذات والآخر من جهة وبين الذات والعالم الخارجي الموضوعي من جهة أخرى فاللغة رابط حيوي وبيولوجي ونفسي يربط الفرد بالمحيط ويمنحه الاطمئنان النفسي والاجتماعي والأمان في علاقته الخاصة والعامة مع الآخر والتعبير عن الإرادة الطبيعية في حق الوجود" (غلفان، 2010، صفحة 11) فهي كيان نفسي وسلوك مرتبط بالإنسان يتم اكتسابه وممارسته.

أما عن طبيعتها السيميولوجية فيقول غلفان:" فاللغة نظام من العلامات المعبرة عن أفكار وإذا ما أمعنا النظر في هذا التعريف نجد أنفسنا مضطرين مبدئيا لإدماج اللغة البشرية في عدد كثير من الأنظمة التي لها طابع التواصلي نفسه المتمثل في نقل معلومات معينة أو التعبير عنها بكيفية أو بأخرى مثل الكتابة وأبجدية الصم والبكم وقانون السير ونظام السلكي واللاسلكي واللغات الإعلامية والبرمجية واللغات الاصطناعية من لغة المنطق والرياضيات ... فهذه جميعا أنظمة تواصل بالاصطلاح والعرف ووظيفتها الأساس نقل أفكار بواسطة رموز" (غلفان، 2010، صفحة 30) وقد أشار غلفان إلى أن سوسير قد أقترح علما جديدا لدراسة هذا النظام العلاماتي وهو السيميولوجيا وبالتالي فإن القوانين التي ستكشف عنها السيميولوجيا ستنطبق أيضا على اللسانيات.

وهذا في الباب الأول أما الثاني موضوعه اللسانيات وتطورها، تحدث غلفان عن بداية نشأة اللسانيات فيقر بأن البحث في اللغة وما يرتبط بها من قضايا معرفية ليس شيئا جديدا في الفكر الإنساني فهو قديم قدم اللغة نفسها وعليه فاللسانيات لا تمثل سوى جزء خاص من التفكير اللغوي الممتد عبر التاريخ والحضارات الإنسانية الكبرى إنها أولا وأخيرا فكر له سماته وخصوصياته التي تميزه عن غيره من أنواع التفكير اللغوي الأخرى كالفكر اللغوي التاريخي والفكر اللغوي المقارن (غلفان، 2010، صفحة 87)، وقد قسم الغلفان مراحل نشأة اللسانيات إلى:

-مرحلة توفيقية

- مرحلة مقارنة وتاريخية

- مرحلة وصفية

- مرحلة تفسيرية

وتتحدد المرحلة التوفيقية زمنيا بالفترة الممتدة من القرن العاشر قبل الميلاد إلى حدود منتصف القرن ال18 لتشمل بذلك بحسب الوثائق والجغرافيات المتوافرة مجمل المساهمات اللغوية التي عرفتها أقدم الحضارات الإنسانية بدءا بالسومريين والأكديين والمصريين والهنود مرورا باليونان والعرب ثم القرون الوسطى فمرحلة النهضة الأوروبية الحديثة وقد أشار غلفان أنه قد أطلق عليها المرحلة التوفيقية لأنها كانت في نظره توفق بين البحث في اللغة وقضايا فكرية أخرى فلم يكن البحث اللغوي فيها مستهدفا في ذاته وإنما كان لغايات أخرى قد تقترب من اللغة وقد تبتعد عنها (غلفان، 2010، صفحة 109)، أما المرحلة الثانية اللسانيات المقارنة والتاريخية فهي تمتد من بداية القرن التاسع عشر إلى نهايته ويطلق عليها اللسانيات المقارنة أو النحو المقارن أو الفيلولوجيا المقارنة والبعض الآخر يقسمها إلى فترتين متميزتين مرحلة النحو المقارن ومرحلة النحو التاريخي (غلفان، 2010، صفحة 182)، وهي المرحلة التي يتم فيها دراسة التغيرات والتطورات التي أصابت

اللغة معينة ثم مقارنتها بلغة أخرى والهدف من ذلك هو بناء تاريخ اللغات أو شجرة اللغات للوصول إلى أصولها ومعرفة اللغة الأم.

وفي الباب الثالث تطرق غلفان إلى تحديد مصطلح وماهية اللسانيات ومجالها، فإذا كانت اللسانيات تعرف بأنها الدراسة العلمية للغة وذلك بتطبيق المناهج العلمية في دراستها وتحليلها كاعتماد الملاحظة والتجربة والاستنتاج ثم التقعيد لهذه النتائج في شكل قواعد وقوانين جبرية كما هو الحال بالنسبة للرياضيات والعلوم الأخرى المشابهة، فإن غلفان يرى بأنها العلم الذي يشمل البحث في المسائل اللغوية التالية منفردة أو مجتمعة: (غلفان، 2010، صفحة 204)

-البحث في قضايا تعريف اللغة البشرية وتحديد طبيعتها النفسية والاجتماعية والسيميولوجية والنتائج النظرية المترتبة على تحليلها من هذا المنظور أو ذاك.

-وصف البنيات اللغوية في مستويات التحليل اللغوي مثل الأصوات والصرف والتركيب والدلالة والمعجم وما أضيف إليها حديثا مثل التداوليات.

-البحث في المباديء والمفاهيم العامة المتحكمة في مستويات التحليل السابقة ووحداتها وحدة صوتية صرفية نحوية دلالية سواء من حيث تحديد طبيعتها أو دورها أو القيود عليها أو من حيث علاقتها بوحدات في المستويات الأخرى.

-الاتجاهات العامة لبحث اللساني الحديث أو المدارس اللسانيات.

-البحث في النماذج اللسانية سواء من حيث طبيعتها وكيفية وصفها أو من حيث القضايا النظرية والمنهجية المتعلقة ببيئتها وعلاقة كل ذلك بالألسن الطبيعية المدروسة

-البحث في المناهج التي ينبغي اتباعها في دراسة اللغة وطرائق اختبارها عمليا.

ولا يكتمل الحديث عن اللسانيات الحديثة ومناهجها وتطور تصوراتها وتفرعها إلى مدارس واتجاهات من دون استحضار دور اللساني السوسيري سوسير في المسار الذي قطعته اللسانيات حتى غدت نموذجا له قيمته النظرية والمنهجية المتميزة في حقل العلوم الإنسانية وذلك من خلال كتابه محاضرات في اللسانيات العامة وجملة الآراء التي طرحها في هذا الكتاب والتي اعتبرت بمثابة الأساس الذي قامت عليه اللسانيات الحديثة (غلفان، 2010، صفحة 208).

والمرحلة التي جاء بها سوسير سميت المرحلة الوصفية والبنوية لأنها تحلل اللغة إلى بنياتها المختلفة الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية باعتماد المنهج الوصفي وهو التحليل الذي اتبعته كثير من المدارس اللسانية بعد سوسير وذلك قبل أن تأتي المرحلة التفسيرية مع تشومسكي الذي خالفها في المنهج حيث تسعى نظريته إلى تفسير كيفية أنتاج اللغة الإنسانية، وكل هذه المدارس سواء البنوية أو التفسيرية قد جعل لها غلفان كتابين مفصلين لها الأول هو اللسانيات البنوية منهجيات واتجاهات والثاني هو في اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي.

1-2-المرحلة الثانية: تصنيفه لأبرز اتجاهات اللسانيات العامة (من خلال كتابيه اللسانيات البنوية منهجيات واتجاهات وكذلك كتابه في اللسانيات التوليدية).

وهذا الكتاب في واقع الأمر تكملة لمؤلفه السابق في اللسانيات العامة وذلك من خلال تقديم بعض ملامح التعدد النظري والمنهجي التي تجسده الدراسات اللسانية التي تؤطرها اللسانيات البنوية أو ما ينعت أيضا باللسانيات الوصفية دون إغفال الملامح المشتركة بين مختلف المذاهب والاتجاهات وهي ملامح قد تكون بارزة في اتجاه وقد لا تكون كذلك في اتجاه آخر.

وقد استهل غلفان بتمهيد عن حقيقة اللسانيات وإطارها العام مشيرا إلى أبرز التصورات الكبرى فيها (التصور البنوي، التصور التوليدي، التصور التداولي)، ولأن كتابه يختص باللسانيات البنوية دون غيرها للقارىء فإنه قد ميز كذلك في كتابه بين نوعين من البنوية : "بنوية أوروبية وبنوية أمريكية تشتركان في الهدف الذي هو تحليل البنية الداخلية للغة و تختلفان في المصدر والمرجعية فتنطلق الأولى-أي البنوية الأوروبية- من فكر سوسير وثنائيات في حين تعود اللسانيات البنوية الأمريكية إلى بوعاز وسابير وبلومفيلد ومن الطبيعي جدا أن يترتب عن الاختلاف في المصدر اختلاف في الرؤية النظرية والمنهجية وكذلك اختلافات اصطلاحية (غلفان، اللسانيات البنوية منهجيات واتجاهات، 2013، صفحة 67)، وحتى أن بين المدارس اللسانية البنوية الأوروبية نفسها اختلافات تصورية هامة ففي الوقت الذي تهتم به براغ باللسان والكلام وبالوظيفة نجد أن الغلوسيماتية لا تهتم إلا بمفهوم اللسان الذي أعدت صياغة صورية تخلى فيها هيلمسلف عن كثير من الاعتبارات النفسية والاجتماعية والتي تضمنتها مفهوم اللغة وتحديدها خصائصها أما اللسانيات البنوية الأمريكية فلا تعتبر المظاهر اللغوية موضوعا للسانيات إلا الكلام المنجز فعليا (غلفان، اللسانيات البنوية منهجيات واتجاهات، 2013، صفحة 77).

1-2-1-مدرسة جنيف: وفي حديثه عن هذه المدارس تطرق غلفان أولا إلى المدرسة البنوية السويسرية الذي تدين له اللسانيات عامة في منطلقاتها الأولى واللسانيات البنوية في العديد من اتجاهاتها البنوية ومشاربها الفكرية والمنهجية على وجه الخصوص من خلال الدروس التي ألقاها في جامعة جنيف وقد كان لهذه الدروس في اللسانيات العامة دور حاسم في المسار الذي قطعته اللسانيات حتى غدت نموذجا له قيمته النظرية والمنهجية المتميزة في حقل العلوم الإنسانية (غلفان، اللسانيات البنوية منهجيات واتجاهات، 2013، صفحة 170) كما جاء بمقدمة زاخرة بالأسس التي قامت عليها اللسانيات وعلى طريقة الثنائيات وهي طريقة فلسفية تبنتها غيره من المدارس فصل سوسير بين اللغة والكلام واللسان، حيث يعتبر اللسان ذلك النظام العام الذي يشترك فيه جميع البشر، بينما اللغة هي ظاهرة اجتماعية تنتمي إلى المجتمع، أما الكلام فهو الإنجاز الفردي ويختلف من شخص إلى آخر ،كما جاء بنظرية العلامة اللغوية مقسما إياها إلى دال ومدلول حيث الأول هو الصورة السمعية بينما التصور هو المدلول عنده وقد واصفها-أي العلامة اللغوية- بالاعتباطية بمعنى أنها علاقة طبيعية غير معللة وهي من وضع الاصطلاح.

إضافة إلى ثنائية التزامن والتعاقب حيث يتم تناول اللغة في الحالة الأولى زمنية معينة ويتعلق الأمر بالدراسة التزامنية أما الدراسة التاقبية موضوع المحور الثاني فتناول اللسان في مراحل تطوره وذلك بدراسة ما يطرأ عليه من تغير جراء تفاعله مع الزمن (غلفان، اللسانيات البنوية منهجيات واتجاهات، 2013، صفحة 184).

ونشير هنا إلى أن هذه ليست كل الثنائيات إنما أبرزها فالمقام لا يسمح لنا بسردها والتفصيل فيها جميعها.

1-2-2-حلقة براغ:

يرتبط اسم حلقة براغ اللسانية باللسانيات البنوية عموما وبالدراسات الصوتية بخاصة وهو المجال الذي دفعت إلى مستوى عال من الضبط المنهجي والدقة في التحليل ومن أبرز روادها جاكبسون وتروبستكوي كما سميت براغ بالوظيفة لأنها أكدت بشكل بارز منذ بداياتها على وظيفة اللغة الأساس التي هي التواصل ضمن وظائف أخرى ممكنة بحسب السياق والمقام والبنيات اللغوية المستعملة لذا جاء تأكيد حلقة براغ على دور الوظيفية و أهميتها في التواصل اللغوي من جهة وفي التحليل اللساني في المستويات اللغوية كافة (غلفان، اللسانيات البنوية منهجيات واتجاهات، 2013، صفحة 215) كما جاءت ب"نظرية الفونام" وهي من الأسس المتينة التي قامت عليها المدرسة الوظيفية ويرجع الفضل في صياغته نظريا وعلميا إلى نيكولاي تروبستكوي"، والفونيم أصغر وحدة تعمل على تحديد المعنى وتغييره داخل الكلمة ، فالفونام كان أساس التحليل

اللساني عندهم ودوره ووظيفته في بناء وتاليف الخطاب لذلك سميت بالمدرسة الوظيفية الفونولوجية الوظيفية (غلفان، اللسانيات البنوية منهجيات واتجاهات، 2013، صفحة 242)، ونشير في هذا الصدد أن المدرسة الوظيفية لا تقتصر على آراء حلقة براغ وحسب وهناك اتجاه لساني آخر غرف باللسانيات الوظيفية الفرنسية مع أندري مارتيني وقد اشترك مع براغ في المبادئ الكبرى كوظيفة اللغة فيما كانت له تصورات أخرى في التحليل كالتقطيع المزدوج والاقتصاد اللغوي ونظرية الملائمة.

1-2-3-الغوسيماتية:

وقد تأسست هذه المدرسة سنة1931 وهي الحلقة اللسانية التي اتخذت من كوبنهاجن مقررا لها ورائدها لويس هيلمسلف" وتبدو آراء الغلوسيماتية في صورتها العامة استمرارا لأراء سوسير وتطويرا نوعيا لها وهي الآراء التي ضبطتها الحلقة لاسيما أعمال هيلمسلف من الناحية المفهومية والاصطلاحية وأعادت صياغتها جديدة ألبستها بعدا علميا في الصورية والتجريد والرمزية ليجعل اللسانيات أشبه بالرياضيات في تحليل اللغة وبنيتها وإعطاء النتائج على شكل معادلات جبرية رياضية (غلفان، اللسانيات البنوية منهجيات واتجاهات، 2013، صفحة 255).

1-2-4-اللسانيات الأمريكية:

وقد تأسست على بدء مجموعة من الباحثين ونذكر منهم فرانز بوعاز وإدوارد سابير وليونارد بلومفيلد وهاريس " ولا تتضح معالم اللسانيات البنوية بمعناها الحقيقي وفي صورتها المنهجية الدقيقة إلا مع بلومفيلد في كتابه اللغة، ويأخذ بلومفيلد مكانته المتميزة في اللسانيات انطلاقا من تأكيده القوي مثل سوسير على ضرورة دراسة اللغة بمغزل عن الظواهر المصاحبة لها وباستقلال عن باقي المعارف اللغوية والعلوم الأخرى ومؤكدا أن الموضوع الحقيقي والوحيد للسانيات هو اللغة في ذاتها ومن أجل ذلك مؤكدا على أهمية الوصف (غلفان، اللسانيات البنوية منهجيات واتجاهات، 2013، صفحة 253).

وتقوم والسلوكية في دراسة اللغة عند بلومفيلد على غرار نظيراتها في العلوم الطبيعة على إقصاء كل العمليات المتعلقة بوعي الإنسان ومداركه الداخلية باعتباره عمليات عقلية باطنية لا يمكن النظر إليها كموضوع تجريبي وتقتصر السلوكية على تناول ما تقدمه الخبرة والتجربة المتاحتان للملاحظة المباشرة ألا وهو السلوك الفعلي والملموس ويكون الهدف من التحليل السلوكي ضبط السلوكيات بتحديد العلاقات الممكنة بين المثيرات والاستجابات التي يمكن التحكم في مجرياتها (غلفان، اللسانيات البنوية منهجيات واتجاهات، 2013، صفحة 383)

. 1-2-5-**اللسانيات التوليدية التحويلية:**

إذا كان سوسير قد أحدث القطيعة الأولى في اللسانيات عندما حدد مادة اللسانيات وموضوعها فإن عالم اللسانيات الأمريكي نعوم تشومسكي قد أحدث بالفعل ما يمكن تسميته بالقطيعة الثانية في اللسانيات المعاصرة قطيعة تتجلى في وضع نظري جديدة تختلف في تصوراتها الأساس ومنهجيتها التحليلية للظواهر اللغوية عن النظريات السابقة عليها كما تتجلى هذه القطيعة في المفاهيم والأدوات الإجرائية الدقيقة التي تم اقتراحها لتناول اللغة باعتبارها ملكة بشرية عامة. وقد جعل غلفان لهذه النظرية كتابا مستقلا أسماه ب" في اللسانيات التوليدية " وإن هدف الكتاب هو محاولة تقديم بعض العناصر المساعدة على قراءة متأنية ودقيقة للنحو التوليدي بدءا بمنطلقاته الفكرية والعلمية مرورا بمفاهيمه الأساس ووصولا إلى آخر مستجداته من أجل استيعاب حقيقي لمضامين النظرية التوليدية وحسبه في هذا الكتاب أن يقدم للقارىء صورة واضحة عن النحو التوليدي في أسلوب واضح وبسيط يجمع بين العمق والتقديم العام دون إخلال بالمضامين العلمية للمفاهيم التوليدية الأكثر تداولا وبعيدا عن أمثلة من اللغة العربية بالدرجة الأولى حتى يبين إن كان الأمر في حاجة

إلى تبيان أن اللغة العربية بدورها يمكنها الاستفادة من هذه الدراسات وأن هناك دراسات عربية جادة في هذا المجال تقدم صورة إيجابية لما يمكن أن يكون عليه الدرس اللساني التوليدي العربي (غلفان، اللسانيات البنوية منهجيات واتجاهات، 2013، صفحة 2).

1-3-المرحلة الثالثة: تحديده للسانيات العربية الحديثة وأبرز مناهجها(من خلال كتابه اللسانيات العربية حفريات النشأة والتكوين، اللسانيات العربية أسئلة المنهج وكذلك اللسانيات العربية دراسة في الأسس وأهم المصادر).

كتاب غلفان الأول اللسانيات العربية حفريات النشأة والتكوين عبارة عن دراسة حفرية تنقيبية في واقع اللسانيات في علاقتها بالثقافة العربية الحديثة وخلفياتها من حيث التأثير والتأثر موضحا مراحل النشأة والتكوين المتنوعة والتي مرت بها اللسانيات العربية، فوصف فيها وضعية البحث اللغوي العربي في بداية النهضة وعمليات النقل والترجمة ثم تطرق إلى إرهاصات المنهج التاريخي المقارن في البحث اللغوي العربي الحديث على يد جورجي زيدان من خلال كتابه الفلسفة اللغوية وتاريخ اللغة العربية وكذلك الدراسات التي أجراها الكرملي بعده، كما تطرق إلى دور الخطاب الإستشراقي ومساهمة المستشرقين في مد مجال البحث اللغوي العربي الحديث بجملة من الأفكار اللغوية كبروكلمان وفوك وفيشر وكذلك نشأة المجامع اللغوية التي سعت إلى تعزيز وترقية منحى البحث اللغوي العربي (غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، 2006، صفحة 2).

وقد تناول أو تحدث غلفان في الكتاب عن مراحل دخول اللسانيات إلى الثقافة العربية الحديثة مؤكدا أنلدراسات اللسانية العربية قد قطعت أشواطا هامة نحو الضبط والدقة وقد تم بلوغ هذه المرحلة بعد مراحل عديدة من المخاض والنمو وقد أجملها غلفان فيما يلي: (غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، 2006، صفحة 147)

-إرسال البعثات العربية إلى الجامعات الغربية.

-القيام بدراسات جامعية وأطروحات.

-إنشاء مراكز خاصة بعلم اللغة.

-ظهور ترجمات عربية لبعض المقالات والأعمال اللسانية.

- تنظيم ندوات ولقاءات علمية محلية وجهودية ودولية في مجال اللسانيات.

-إنشاء تخصصات قائمة في اللسانيات العامة.

فلم يمض وقت وجيز على ظهور اللسانيات بنظرياتها ومناهجها في العالم الغربي حتى امتدت تأثيراتها إلى الثقافة العربية المعاصرة، فبدأت الأقلام المتخصصة تكتب وفق هذا التوجه الفكري الجديد وقد برزت معها مجموعة من الكتابات اللسانية لعديد الباحثين على اختلاف توجهاتهم وآراءهم حول طرح قضايا اللغة العربية وسعيا منهم إلى تقريب هذا العلم -اللسانيات إلى القاريء العربي، "وقد تمت صور هذا النشاط على يد مجموعة من الباحثين و بأشكال متنوعة، فعُنِيَ بعضهم بدراسة مستويات اللغة العربية في ضوء الدراسات اللسانية الحديثة، وأخرى حاولت تقديم اللسانيات الغربية للقارئ العربي، ثمّ تلك التي كرست لنقد النحو من وجهة النظر الحديثة" (جغبوب، 2011، صفحة 20)، ونشير هنا إلى أنّه ليس من السهل تصنيف الكتابات اللسانية العربية الحديثة بسبب تداخل المواقف والآراء وحتى بالنسبة للساني الواحد، فقد يأخذ بأكثر من موقف دفعة واحدة أو ينتقل من موقف إلى آخر خلال فترات حياته العلمية، ولكن على العموم بإمكاننا أن نميز ثلاثة أنواع من الكتابة اللسانية وهو التصنيف الذي وضعه غلفان في كتابيه اللسانيات العربية أسئلة المنهج وكذلك في كتابه اللسانيات العربية دراسة نقدية في الأسس والمصادر وهي كالتالي:

1-3-1- الكتابة التمهيدية:

تروم الكتابة التمهيدية أو ما تسمى أيضا بالكتابة التبسيطية إلى تقديم اللسانيات ومفاهيمها النظرية والمنهجية بشكل مبسط قصد تيسير المعرفة للقارئ العربي وتقريبها منه، سواء كان مبتدئا يلج عالم التخصص في اللسانيات أم قارئا ينشد التسلح باللسانيات للاستفادة منها في مجالات معرفية أخرى كتحليل النصوص الأدبية أو المناهج النقدية أو التاريخ أو الفكر الإسلامي وغيرها (غلفان، اللسانيات العربية أسئلة المنهج ، 2013، صفحة 62)، وإذا كان موضوع هذه الكتابة هو تقديم هذا العلم للقارئ فإنّ المؤلف في هذا المجال ملزم بتحديد مفهوم ومنهج ووظيفة هذا العلم بالإضافة إلى الإطار الزماني والمكاني له وكلّ التطورات التي يخضع لها في نشأته وذلك لأنّ موضوعها يتشكل مما تقدمه النظريات اللسانية الحديثة من مبادئ ومناهج جديدة في دراسة اللغة، وتعتمد اللسانيات التمهيدية "المنهج التعليمي القائم على الوضوح والتبيان والشرح وما يتطلبه من وسائل مساعدة من أمثلة ورسوم بيانية" (غلفان، اللسانيات العربية أسئلة المنهج ، 2013، صفحة 63)، وهذا ما نلحظه من عناوين بعض ما ألف في هذا الاتجاه: ككتاب مدخل إلى اللسانيات لمحمد على يونس على، ومدخل إلى المدارس اللسانية المعاصرة لنعمان بوقرة وغيرهما.

1-3-2 - الكتابة التراثية أو لسانيات التراث:

تتخذ هذه الكتابة من التراث اللغوي العربي القديم في شموليته موضوعا لدراساتها المتنوعة وذلك لإيمان بعض اللسانيين بأن ما تقدمه اللسانيات من معرفة علمية مبثوث فيها جاء بها أسلافنا من النحاة وما علينا سوى إعادة قراءته وإخراجه في نظرية لسانية عربية جديدة يمكن الاستفادة منها في الدراسات اللغوية، ويعتمد أصحاب هذه الكتابة على" ما يعرف بمنهج إعادة القراءة ومن غايات لسانيات التراث وأهدافها تأويل التصورات اللغوية العربية القديمة من منظور البحث اللساني الحديث والتوفيق بين التصورات اللغوية القديمة والنظريات اللسانية الحديثة ومن ثمة إخراج التراث في حلة جديدة تبين قيمته التاريخية والحضارية بالتأكيد على احتوائه للمضامين اللسانية الجديدة" (غلفان، اللسانيات العربية أسئلة المنهج ، 2013، صفحة 63) ، وما يؤكد رسوخ هذا الاتجاه في الثقافة العربية هو بعض ما نجده من مؤلفات في هذا النوع من الكتابة من أمثال : بحوث ودراسات في اللسانيات العربية للحاج صالح والتفكير اللساني في الحضارة العربية لعبد السلام المسدي.

1-3-3- الكتابة العربية المتخصصة أو لسانيات العربية:

وتجعل هذه الكتابة من بنية اللغة العربية في مستوياتها المختلفة موضوعا تشتغل به وتتمحور حوله كل اهتماماتها النظرية والمنهجية والتطبيقية، و يتم النظر إلى اللغة العربية في لسانيات العربية باعتبارها نسقا صوريا أو وظيفيا يمكن وصفه و أو تفسيره في مختلف المستويات المعروفة في التحليل اللساني الحديث صوتيا، صرفيا ونحويا ودلاليا (غلفان، اللسانيات العربية أسئلة المنهج ، 2013، صفحة 63)، وتختلف هذه الكتابة عن الكتابتين السابقتين التمهيدية والتراثية إذ أنّ منهجها لا يحيد عن منحى المناهج العلمية المتداولة في البحث اللساني منذ القرن التاسع عشر كالمنهج التاريخي والمقارن والوصفي والتحويلي التوليدي وغيرها وغايتها" تقديم وصف جديد للغة العربية وفق ما وصل إليه البحث اللساني" (بوتارية، 2015، صفحة 46)، والكتابة المتخصصة أو لسانيات عربية تتفرع بدورها إلى مجموعة من المناهج الأساسية وأهمها:

أ- المنهج الوصفي:

وقد انتقل المنهج الوصفي إلى الثقافة اللسانية العربية عن طريق مجموعة من الباحثين، كإبراهيم أنيس، محمود السعران وتمام حسان الذي يعد من أبرز رواده فقد أكد في كثير من المواضع انتهاجه هذا المنهج خاصة في كتابيه اللغة العربية معناها ومبناها، واللغة العربية بين الوصفية والمعيارية وقد قدمه للقارئ العربي بصورة شاملة وبدقة متناهية (بوتارية، 2015، صفحة 47).

ب- المنهج التوليدي:

ويضمّ هذا المنهج تحت لوائه مجموعة من الباحثين العرب ممن تأثروا بالنظرية التوليدية التحويلية لتشومسكي كميشال زكريا، مازن الوعر، الفاسي الفهري وهذا الأخير قد عمل على إعادة وصف قواعد اللغة العربية وتفسير عملية اشتغال بناها التركيبية وفق نموذج هذه النظرية واعتمادا على الوصف والتفسير (بوتارية، 2015، صفحة 48).

ج- المنهج الوظيفي:

وقد ظهر هذا المنهج أولا في المغرب على يد أحمد المتوكل لينتقل إلى كافة العالم العربي، فالمتمعن في مؤلفات المتوكل سيلاحظ اعتماده على المنهج الوصفي في تحليل الظواهر اللغوية في النحو العربي محاولا دراسة بنية النحو من المستويين التركيبي والدلالي من وجهة نظر وظيفية تداولية وهو الأمر الذي صرح به في أغلب كتبه (بوتارية، 2015، صفحة 48).

خاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة نخلص إلى مجموعة من النتائج لعل أهمها:

- مصطفى غلفان نموذج للباحثين العرب وقد أسهم إسهاما مميزا في خدمة اللسانيات واللغة العربية من خلال محاولة تقديمها للقارىء العربي وفق مراحل متسلسلة وقد تناولها بالتقديم والوصف والتفصيل كما رصد انتقالها ودخولها إلى الثقافة العربية وتبلورها عبر عدة كتابات ومناهج.

-يمكن تقسيم مراحل تتبع مصطفى غلفان للسانيات إلى ثلاث مراحل رئيسية، تُستهل في أولها بكتابه "في اللسانيات العامة" الذي وقف فيه المؤلف على الأسس الفكرية والمنهجية التي تقوم عليها اللسانيات مع التركيز على تبيان وتفسير طبيعة اللغة ودوره في توجيه منحى البحث اللساني.

بينما تتجسد المرحلة الثانية من خلال كتابيه"اللسانيات البنوية منهجيات واتجاهات وكذلك كتابه في اللسانيات التوليدية"ويبرز غلفان في هذه المرحلة المناهج والمدارس اللسانية التي تنضوي عليها البنوية الوصفية ومبادئها دون إغفال ذكر الملامح المميزة لكل مدرسة، ليخصص الكتاب الثاني للسانيات التوليدية منفردة كونها الأكثر تعقيدا في طرحها النظري وجهازها المفاهيمي وأدواتها الإجرائية.

أما المرحلة الثالثة فتمثلها مجموعة مؤلفاته الأخيرة والتي جاءت متسلسلة ومتكاملة لوصف اللسانيات العربية الحديثة، بداية من نشأتها وتكوينها إلى غاية تشكلها وانقسامها إلى تيارات ومناهج.

ويبقى أن نقول بأن البحوث والمؤلفات التي أنجزها مصطفى غلفان في ميدان اللسانيات تعد اليوم بمثابة مرجع أساسي لكل دارس متخصص في هذا العلم الجديد أو لكل متطلع لدراسة هذا العلم من باب الفضول والمعرفة ومحاولة كشف أغوار علم اللغة والذي لا يزال في تطور مستمر إلى حد الآن.

المراجع:

إلهام بوتارية. (2015). *الكتابة اللسانية عند الحاج صالح من خلال كتابه بحوث ودراسات في اللسانيات العربية*. الجزائر: ميلة.

صورية جغبوب. (2011). *قضايا اللسانيات الحديثة بين الأصالة والمعاصرة من خلال كتابات عمر مختار*. الجزائر: جامعة سطيف.

مصطفى غلفان. (2013). *اللسانيات العربية أسئلة المنهج* . الأردن: دار ورد للنشر.

مصطفى غلفان. (2013). *اللسانيات البنوية منهجيات واتجاهات*. لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة.

مصطفى غلفان. (2006). *اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة*. المغرب: منشورات المدارس.

مصطفى غلفان. (2010). *في اللسانيات*. لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة.

مصطفى غلفان. (2014). *في اللسانيات التوليدية (من النموذج المعيار إلى البرنامج الأدنوي مفاهيم وأمثلة*. الأردن: عالم الكتاب الحديث.